

أربُّ المعركة أم أربُّ الثورة ؟

بقلم محمد الحزاري

واغناها تشكلت وفق هذا الفهم الديالكتيكي (كقصائد توفيق زياد ومحمود درويش - مثلا) .. ولكن فهم الأديب العربي ، عندنا ، لإبعاد المعركة يجب ان يكون أكثر دلالة على الثورة ، في ادبها ومنطلقاتها ، وفي تطلعات جنودها وفي طبيعة وقودها .. (٣)

واديينا الثوري يجب ان يفهم الموت والحياة ، وكل الموضوعات التي تنبت وجدان الانسان في وجدان العالم ، ليس عبر المعركة كمفهوم محدود بفلسطين - مع الاهمية الاستراتيجية التي اكتسبها هذه القضية - بل عبر الثورة على كل الأوضاع التي سببت هذا الوجود الشاذ الذي اسمه اسرائيل ، وهذا الموت الذاتي الذي اسمه النكسة ، وهذه الثورات العميقة التي اسمها اسباب النكسة ، والانظمة غير المتجانسة ..

اننا نفهم ادب الثورة كاصالة وكبعد أوسع من ادب المعركة ، فالمعركة جزء من عملية ثورية واسعة وممتدة من الماضي في الحاضر ، والى المستقبل .. لذا نحن لا نفضل الا بالجزئيات بين ضرورة ارتباط الحدتين . وفي اعتقادنا ان الاساس الذي تقف عليه اية معركة ينطلق - ليحقق النصر المحتوم - من أرضية ثورية صلبة ، والا فالكفاح المسلح وحده غير كاف أيضا .. اذ اننا امام مهمة الثورة الكبرى ، ضمن سلسلة عملياتها ، المتتابعة ، التي يجب ان نحقق فيها البديل الثوري التام لانظمتنا ولأجهزتنا السياسية ولبنية قياداتنا ، وحكوماتنا ..

ان المعركة الحقة تنفجر حين نمحو كل اسباب النكسة اولا ، ومن ثم قسيكون محو آثار النكسة ، ومن ثم اسرائيل كوجود استعماري صهيوني ، عملا حتميا تقتضيه الثورة ومهماتها العاجلة ، وتحققه المعركة .. وازاء ذلك ، ينبثق ادب الثورة . ليمنح ادب المعركة جزالته وقيمه الانسانية النامة ، ورؤية أكثر تحليلا للأوضاع ، وادراكا لها لكي يتميز ادب المعركة ويلتحم بمجموع العمل الانساني والثوري الفعال، ولكي يخلق في مدى استيعابه لشروطه الحياتية ، كامل امكانيات خلق تاريخنا المعاصر .

ان الاديب يتأثر بكل أهتزازات الذبذبة الانسانية سلبا وإيجابا ، ويتأثر بكل ألوان الطيف الحياتي التي تنسكب في وعاء وجوده كاتسان متمثل طبيعة الوجود وممثل لها .. وهو كاتسان تاريخي ، يجب ان يرسم الطريق للأجيال الحاضرة ، والقادمة ، عبر ادبه الانساني الثر .. ان يكون الانسان أديبا ثوريا ، يعني ان يتخطى كونه داعية للمعركة وحسب ، وان يعبر عما هو موجود على الارض العربية من تناقضات ، من خلال رؤية واقعية لمجتمعه تتخطى في ذات الوقت المسافة النفسية السلبية التي يمتد عليها واقع فكرنا المعاصر ، ويحتاز خندق القلق الحضاري ، وأفكار الموت والتشاؤم والسلبية والذاتية المحضة التي تخنتت بها أفكار جيلنا الادبي الشاب ..

ان الاديب انطلاقا من خصوعه لمحصلات القوى المجتمعية

٣ - اصدر الشاعر العراقي الفريد سميان مجموعة شعرية جديدة « اغنيات للمعركة » كان قد نشر بعض قصائدها في (اداب) تحتوي هذا الفهم عن المعركة . وسناقش ديوانه هذا في مقالة مقبلة تحلل فيها التشكيل الثوري في شعره .

حين يكون الادب ظاهرة اجتماعية تنعكس من واقع الناس والمجتمع على الاديب (الفرد) ككائن بشري ينمو مع الزمن ليتمثل تشكيلاته الحضارية ، عبر المرحلة التاريخية الميئة ، تكون لغة الاديب هي لغة المعاصر ، فتحمل سمات الحياة اليومية والعمل وما يجري في المجتمع والكون .

لذا فالادب ، في المرحلة الراهنة - مرحلة المعركة - هو تشكيل ثوري ، اذ انه انعكاس الزخم الثوري الذي يعيشه عالمنا العربي ، وانساننا العربي عموما .. ومن هنا ، فان ما يكتب عن المعركة ، لا يحتوي لغة الصدق والاصالة ، ان لم ينطلق من أفق الثورة ، والنطلع الثوري الذي يحمله انساننا المناضل ، عبر مخاض السنوات الطوال ، لتحقيق حلمه في مجتمع الانجازات الاكمل ، عبر مجتمع الانجازات الآنية ..

وفي هذا المسار ، تظل القضية الفلسطينية ، موضوع الانتقاد الدائم ، ليس فقط لانها القضية الاستراتيجية في جدول أعمالنا كعرب ، بل ولانها القضية المحك لمفهوم الثورة العربية الظاهرة ، والانسان العربي المعاصر ..

ان حدث الثورة يمنحنا دلالات أعمق وأوسع مدى من حدث المعركة، وقد حقق حدث المعركة ابعادا أعمق وأوسع من فهم نكسة الخامس من حزيران .. ومن هنا يدرك الاديب العربي الثوري انه ليس الان امام زمن المواجهة وحسب ، بل وزمن التخطيط أيضا حتى يسهم اسهاما جليلا في تحقيق كامل رؤاه الثورية على الارض العربية ، وفولذة قواه وتحشيدتها للمعركة الفاصلة .

ان انساننا العربي المعاصر يجب ان يمتلك - في مدار الثورة - معرفته الانسانية التي تفترض منه الممارسة العملية ، كقياس وأساس لها .. فلقد حقق هذا الانسان عبر مشارك التشقق والافخاق ، والتشيت والوجود ، ثم عبر معارك المواجهة في داخل الدول العربية ، وداخل الحكومات وداخل الانظمة وداخل القيادات السياسية ، ثم عبر معارك المواجهة المباشرة ضد الاستعمار والرجعية واسرائيل . حقق معرفته الخاصة بالحياة ، وبالمعركة ، ورؤاه الميزة لجوانب السلب والايجاب فيهما .

والاديب العربي ، كثوري ، يفترض به ان يمتلك هذه المعرفة الانسانية ، لكي يحقق لادب المعركة ابعاده الثورية ، ولتنقل المعرفة ، عنده ، لا « كنتيجة للتأثير الذي تمارسه الاشياء الخارجية على حواسه » .. فقط ، بل « ان المعرفة تفترض بنفس الدرجة ، أيضا ، تأثير العالم الخارجي على الانسان ، وتأثير الانسان على العالم الخارجي ، أي أن الممارسة العملية اساس ومقياس المعرفة .. » (١) وهذه المعرفة تتطلب منا ادبا للمعركة يعيش كل تفاصيل الحياة ويحللها بنظرة ثورية ، مدركة ، وواعية ، ادبا ثوريا صاعدا ومفريا ومرشدا . وعلى هذا الاساس يتحتم تنظيم عمل الادباء الثوريين ، لكي تستند الاصرة بين الادب الثوري والمعركة .

اننا نجد ان بعض اشعار وقصص كتابنا الذين غنوا المعركة

١ و ٢ - الماركسية في اطارها التاريخي : تيودور ويزمان .. الطبعة العربية .

والسياسية والتاريخية يؤكد وجوده في اثبات هويته كأنسان يواجه
الازمة ويجتازها ، لا في مناهات ميتافيزيقية او هروبية ، ولا في اسلخ
عن جلد الاحداث ، ولا في التسطح على اديم الاشياء . بل في الفور
داخل الاشياء وفهم قوتها واستيعاب كل ابعاد مأساة انساننا في كل
الوطن العربي ، ومعاناته عبر معركته الخاصة الضارية ضد كل اوضاع
السلب والتخلف والنكسة « الحضارية » الزمته ..

اذ كيف يفهم الابداء الثوريون واقفهم الموضوعي ، معركيا وثوريا ،
لكيما ينطلقوا منه معبرين عن الضرورات المجتمعية والانسانية ،
وليسنوعبوا حركة التفاعل الحاصلة في داخل المجتمع العربي وقيموا
منازيس فكرية امام التخطيط الاستعماري الفكري لمحاولة الزحف
على المواقع الثورية ؟

ان ذلك وغيره ، يتضح من خلال تحديد موقف الابداء التقدميين
من انفسهم ومن الثورة .. اذ ان مفهوم « التقدمي » بات مفهوما عاما
وفضاضا ، وحتى ان العديد من مخططي الثورة المضادة ، باتوا يرتدون
لبوس التقدمية ، وهم اعدى اعداء الانسان في تطلعاته الثورية المشروعة
لبناء المجتمع الاشتراكي المنشود ..

لذا فان مسألة دور الفئات المثقفة في الحركة ، هي قبل كل شيء ،
مسألة دورها في البناء الاشتراكي ، وفي الثورة علسى العموم .. وان
« بناء الاشتراكية » يتطلب - كما يقول لينين - « حولا لمشكلات
هي اكثر تنوعا وتعقدا وعمقا ، وبما لا يقاس من تلك التي وجب حلها
في الماضي » (٤) لان « الرأسمالية لا توزع المعرفة الا على قلة من الناس ،
وانطلاقا من هذه المعرفة علينا نحن ان نبني الاشتراكية ، ليس عندنا
مواد اخرى غيرها » (٥) ..

وبناء الاشتراكية يتطلب الثورة الاجتماعية ، وايجاد بديل ثوري
منجز وفعال وخلق على مستوى التنظيم الطبقي الحاكم ، وعلى مستوى
العلاقات بين الناس ، اذ ان الثورة لا تتطلب تغييرا في وسائل الانتاج
فحسب ، بل وفي العلاقات الانتاجية عموما ، وهذا يعني تغييرا جذريا
شاملا في كل مرافق الدولة وملاحج المجتمع واعماقه . واذا ذلك يكون
لادب الحركة فعل الثورة ، اذ ينطلق من ارض اكثر صلابة ، وثورية ،
وتماسكا .. ويكون الابدب العربي اكثر صدقا حين يتحدث عن الحركة .
ان ادب الحركة ، لكي يكون ثوريا الان ، يجب ان يعبر عن الصراع
في واقع الذهنات اليمينية المتخلفة في المجتمع التي تشكل الترسانة
السوداء للفكر الاستعماري ، للعمل على ازالتها واقتلاعها مع جنورها .
وادب الحركة يجب ان يعبر عن المعاناة في ضرورة ردم الثغرات الكبيرة
في التركيب الثقافي والنفسي والحياتي ، لمجتمعنا ولحكوماتنا حتى
يتحول ادب الحركة الى ادب للثورة .. بحيث يكون عمل الابداء لصيقا
بالثورة وبالجماهير الكادحة صاحبة المصلحة الرئيسية بالثورة .. لا
ان يكون مقيدا لخلفيات تجره نحو التخلف والنكوص ، والازدواجية ..

ان ادب الثورة ليس الادب الفارق في محلية مغلقة « باسم
الواقعية » او الاطار القومي الشوفيني باسم « السمات القومية » ،
وان ادب الثورة ليس الادب السادر في عالية متميعة باسم « النظرة
الاممية » .. فان ادبا كهذا يقطع جذوره عن عمق تربة الواقع الانساني ،
ويظل مهزوزا ، او غارقا في تكثيف الحزن المعدني لحسن اللحظة
التاريخية ، وفهم الوجود على انه تكوين اسود ، .. فهنا - وفي هذه
الحالة - يفقد ادب الحركة ، انيا ، اهم ميزة من ميزاته ، وهي الاصاله
الثورية .. اذ ان الابدب الثوري ، يجب ان يعبر منفلتا من كل قيود
الترسيم التشريعي والقضائي والتقليدي المتعسف ، والافكار الفيرية
غير المبصرة ، وغير المنفتحة على واقع الناس وتحركهم ، وواقع العدو
الامبريالي - الاسرائيلي ، وتحركه ..

ادب الحركة الثوري ، هو الادب الذي يستمد تقاليده من طاقات

ان شعوبنا ارهقت من ان تقوم بدور كبش الفداء ، وتتحوّل
دائما الى حقل تجارب للاجتهادات الخاطئة .. والادب هنا يعتمد

رد من رودنسون

تلقت « الآداب » ردا من الكاتب الفرنسي مكسيم رودنسون على مقال اسماعيل المهدي الذي كان قد تناول فيه بالنقد كتاب الكاتب الفرنسي « إسرائيل والرفض العربي » .

وستنشر « الآداب » في عددها القادم كلمة السيد رودنسون ورددها عليها .

وسائل ذكية لتحقيق مهام المرحلة وتنفيج الآراء حولها لدى جماهيرنا الواسعة . لكي تمارس الجماهير المنظمة ضغطها على قياداتها لسلوك الأسلوب الثوري السليم الذي يتعد بالجماهير عن خوض العارك الجانبية التي تشغلها عن الحركة المصرية مع الاستعمار واسرائيل والجيوب الرجعية العميلة ، ولكي يتم تجميع كامل القوى المؤمنة بالثورة وبميثاق عمل مشترك للسير في خط الحركة . ادبا ونضالا ، وفكرا واقتصادا ، وعسكرة . الخ

ان ادب الثورة هو الادب الذي لم يكتب وفق نوايس النور المطلق ولم يكتب وفق مرسوم خاص ، او بفعل رغبة انسان مسا او فئة بذاتها . بل هو الادب الذي يزرع الحرف الخير اتحرف - البنديقية ، حتى في الارض الياب ، مبتعدا عن التساؤلات البورجوازية الجوفاء عن الجدوى واللاجندوى في الكتابة . فانبات وجود الكلمة المعبرة عن واقع الحركة ، هو وجود الكلمة المنبثقة عن واقع الثورة والمتظمة لها . فالادب الثوري هو الذي يخوض معركة دائمة فيتصدى ، ويتحدى ويضعف ، ويقلب ، ويغير . والا سيظل السكون والجمود في قوالب معينة هو واجهة تفكيره الضيق ، بالضبط ، كما كان عليه الادب طوال سنين عن اجترار مسألة النقاش عن الثورة الفلسطينية ، لا كتورة ، بل كفلسطين مجردة !

انن ماذا نريد من ادب الحركة وادبها ؟ انريد خلق ثورة ثقافية ؟ كلا . بالطبع . فالثورة الثقافية تحديد فوقي . ان ادب الحركة وادبها يجب ان يعيشا الثورة من القاع ، وان ينطلقا من موقف حضاري يعي سمات العصر ويعي مهام الانسان المناضل بشكل مثمر وجيد . ان ادب الحركة لكي يكون ادب الثورة ، يجب ان ينطلق من مقومات ثورية ، ان يعتمد النظرية العلمية ، كنظرية مرشدة ، لا ان يرفع شعارات ثورية فارغة ، تتصالب عليها الاخطاء والتحديات الجامدة والاجتهادات الخاطئة . وبذلك لا يستطيع الا ان يحطم كل اسطورة الماضي في النظر الى الاشياء والعالم ، عبر نظرة الدولة لها ! فالادب الثوري لكي يكون ادبه ، في صميم الحركة ، يعيش زمنا يجب ان يتخطى به ظل اية دولة ، كي يعبر عن واقع الكفاح المسلح ويفذي العمل الفدائي ، ويدفع بحركة الحياة الحرة الكريمة نحو الافضل والاروع . عبر نماذجه الادبية التي تعيش سلب الحياة الاجتماعية اليومية وايجابها ، ولكن ان تكون مشبعة بارادة التغيير ، لكي يشب ادبنا متخطيا مراهقة الحرف والحماس اليومي « الفقاعي » غير الجدي ، عبر نوكيده ، كإنسان ، لحرته وحرية مجتمعه كضرورة تاريخية واجتماعية ، لان حرية الادب ترتبط بالوعي المعين اجتماعيا وتاريخيا وهي « لا تعرف خارج الضرورة

وانما تعرف بالمعرفة وبالهيمنة على الفوانين الموضوعية » . . وعبر حرية الاديب الثوري ، يتحقق لادب الحركة بعده الاوسع والاتري والاعمق . .

واذن . . فادب الحركة ، يجب ان يكون ادبا ثوريا ، ادبا للثورة في الوقت ذاته . . يحمل في صلبه تعبيرا ايدولوجيا معينيا ، اي ان الاديب الثوري يحمل هذا التعبير ايدولوجي الذي هو والفكر في تلاحم تام ، وفي اتحاد عضوي مناسك . . فليس نمرة ادب لا يخدم ايدولوجية معينة ما دام منعكسا عن واقع اجتماعي معين ، فهو يعبر حتما عن مصالح هذه الشرائع الاجتماعية بالذات من خلال الافكار التي تتدافع وتتراحم وتراصف في ذهن المنتج الادبي وتبلور في الانتاج الكائن . . فالفكر هو وعي اجتماعي معين يعكس من واقع موضوعي معين ، من خلال حصيلة ثقافية اولدتها الضرورة التاريخية ، والتفكير عملية ملتصقة بواقع الحياة ، وهي انعكاس خارجي في المجتمع على الذهن البشري ، ومن الذهن البشري على المجتمع ، ذاته ، لتؤثر به وتضفيه . .

ولا يمكن لادب الحركة ان يكون ثوريا دون ان يدين بايدولوجية ثورية ، لكي يختط له وضوحا فكريا ويعمل على ايجاد الصيغة الانسانية البديلة للواقع المتخلف والمختل والصفي الذي نعيش . . ولكي يكون ادب الحركة صادقا فيجب ان يمد جنوره الى كل تشعبات الحياة ليناضل ضدها ، فالمعركة ليست ارضية محدودة بفلسطين وحدها ، لان اسباب النكسة مثلا ، لم تات عن طريق فلسطين وحدها . . بل ان تحرير الارض المحتلة لا يتم الا عبر سلسلة من العمليات الثورية ، تتم على صعيد الوطن العربي كله . . وادب الحركة هو ادب هذه العمليات الثورية ، لذا يجب ان يكتسب هذا البعد العميق الجذور ، وهذا الحس الحضاري وهذا الدافع المغير ، وليس المحرك والداعي ، فقط . .

ان ادب الحركة ، ليس ادبا دعائيا محضا ، مع ان عنصر الدعاية يدخل فيه كعنصر حاسم ، وحيد تتعاطاه ، كادب ، داخليا ، فيجب ان يكون مشبعا بالعامل الثوري المغير ، لبنية مجتمعا المتخلف ، والذي حقق النكسة - من الداخل - قبل ان تحققها معركة ايام ستة ! اني اؤيد بعمق مقالة الصديق غائب طعمه فرمان ، حول « مفهوم ادب الحركة » حين يؤكد « ان هذا الذي اصطلحنا عليه بادب الحركة هو ليس الا جزءا من هذا الادب ، وان ادب الحركة ، عندي ، هو اشمل واعمق . . » (٦) « فادب الحركة . . هو الادب الذي يتناول الانسان العربي في واقعه ، في وطنه العربي الكبير ، ويضعه امام المشاكل الحياتية في موقف يبرز فيه معدنه ، ويظهره كخلية حية في الكيان العربي يتناقق مع الماضي والحاضر عنقا غير مطلق ، عنقا يومض بومضات المستقبل » (٧) .

الموقف ، الذي يدعو له الاخ غائب ، هو الموقف من الثورة ، كما اعتقد ، اذ ان فصل ادب الحركة - الجزء - عن ادب الثورة - الكل - هو في غير صالح معركتنا بالذات . . وان موقف الاديب العربي ، ليس « بمعانقة الماضي والحاضر عنقا غير مطلق » فقط ، بل وتغيير الحاضر الذي سبب النكسة ، وعمق جذورها !

وان تغيير الحاضر ، لا يمكن ان يتم دون سلسلة العمليات الثورية ، المطلوبة على ارضنا العربية كلها . . وامام الادب والادباء الثوريين ، اذن مهمة جلييلة هي استنباط التاريخ ، وفهم الحاضر ، وايجاد الصيغة الاكثر ثورية والاكثر عمقا لخلق المجتمع الاروع ، والافضل ، عبر تحرير كامل لارضنا السليبية .

محمد الجزائر

بفساد

٦ و ٧ - « مفهوم ادب الحركة » : غائب طعمه فرمان - الاداب

العدد ١١ تشرين الثاني ٦٨ ص ٣ .